

من خصائص هندسة المساحة في القرآن الكريم مركزية مكة المكرمة بالنسبة إلى اليابسة - إطاراً -

أ.م.د. أسماء سعود إدهام الخطاب

المقدمة:

يعد علم المساحة واحداً من أهم فروع الهندسة المدنية، وهو يتناول على وجه العموم الخرائط على سطح الأرض، وتحديد المواقع عليها، والمساحات السطحية، وأبعادها، والأشكال، والزوايا، والمنحدرات، والمرتفعات، والاتجاهات، وغير ذلك مما هو متعلق بالمسطحات الأرضية وأشكالها؛ فهذا العلم بالغ التشعب؛ فمن فروعه: المساحة المستوية، والطوبوغرافية، والمساحة التصويرية، ومساحة المناجم، وغيرها.

وقد تناولنا في هذا الفصل مبحثين؛ الأول بعنوان: (مركزية مكة المكرمة بالنسبة إلى اليابسة)، ناقشنا فيه قضية المركزية لمكة المكرمة بالنسبة إلى اليابسة على سطح الأرض، وأهمية ذلك؛ أن فيها قبلة المسلمين المتواجدين على المساحة اليابسة من الكرة الأرضية كلها. وقد استنبط العلماء هذه الخاصية الهندسية من قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا... [سورة الشورى: من الآية ٧])، فالآية الكريمة تحدد أم القرى؛ وهي مكة المكرمة؛ وكأنها نقطة المركز المشتركة للدوائر التي سترسم حولها. ولما بحث علماء المساحة في هذا الأمر وجدوا أنهم لو رسموا دوائر ذات مركز متحد؛ هو موقع مكة المكرمة فسينتهون بالدائرة الأخيرة عند حواف القارات، ومن أشهر هؤلاء العلماء في العصر الحديث أ.د. المهندس حسين كمال الدين، في أبحاثه وكتابه (الهندسة في خدمة العبادات). أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد تناول خاصيتا التصغير والتكبير، وهما خاصيتان هندسيتان مهمتان ولا سيما في علم المساحة وإعداد الخرائط، وإعداد مقاييس الرسم لتلك الخرائط؛ والتي تتحد باعتماد خاصية التصغير، أو تنزيل تلك الخرائط على أرض الواقع باعتماد خاصية التكبير. وقد تناولنا في هذا المبحث كتطبيق لهاتين الخاصيتين قضية التشابه بين خلق الإنسان وخلق الكون؛ لأن الإنسان مصغر من هذا الكون، مستنبطين ذلك من قوله تعالى: (لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة غافر: ٥٧]. وتمت مناقشة الآيات القرآنية باعتماد الإعجاز البلاغي كونه الوجه الرئيس للإعجاز القرآني.

تعدد قراءات العلماء والباحثين على مر التاريخ حول مركزية مكة المكرمة التي تفهم من قول الله تعالى: (وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) [سورة الأنعام: من الآية ٩٢] و [سورة الشورى: من الآية ٧]. ولعل قراءة المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هورجرونيه (١)؛ واحدة من تلك القراءات المهمة؛ فهو يرى مكة تمثل مركزاً للعلم والثقافة. فمكة المكرمة أولاً هي بلد الجاليات المختلفة من كل جنس ولغة، وهذا عنصر رئيس جعل من مكة مركزاً للعلم والثقافة (٢). وتظهر في صور عديدة منها اختيار مكة المكرمة مكاناً للبحث والتأليف وإتمام الأعمال الفكرية بصنوفها المختلفة، التوثيقية والتحقيقية والبحثية على اختلاف تخصصاتها ومجالاتها، في التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب وغيرها من مجالات المعارف والعلوم الإسلامية. ومن هذه الصور أيضاً أنها مثلت المكان الوحيد في العالم الإسلامي الذي يجتمع فيها علماء الأمة على اختلاف مذاهبهم وملهم ومناهجهم، طلباً للعلم ونشره، وتحصيلاً للرواية والسماع والإجازة، ورغبة في التفكر والتذكر. وليس هذا فحسب، بل ولتحصيل الكتب التي يتعثر الوصول إليها، فكان بعض العلماء كما يقول شوقي ضيف إذا افتقد كتاباً ولم يستطع الحصول عليه، رغم تطوافه في البلدان، لجأ إلى النداء عليه في الحج ليخبره عنه بعض من يراه في مكتبة من المكتبات المتناثرة بين الأندلس وأواسط آسيا حتى الهند (٣).

ثم يأتي العلم الحديث ليقدم للعالم كله صورة رائدة لمركزية مكة المكرمة بالنسبة إلى اليابسة، فمن خلال أبحاث علمية قامت بها فرق بحثية عربية وأخرى غربية اعتمدت التكنولوجيا الحديثة من برامجيات حاسوبية أو أقمار صناعية؛ ليثبت جميعاً أن مكة هي وسط اليابسة على وجه الأرض بمعنى أن ما حولها هو العالم بأسره؛ فيكون جميع الناس مشمولين بإنذار هذا الكتاب المبين؛ ويتحقق من ذلك أن القرآن الكريم هو كتاب البشرية كلها وفي إشارة إلى أنه جاء نذيراً لكل أولئك الذين يسكنون كوكب الأرض.

الحقيقة العلمية:

في سبعينات القرن الماضي استطاع فريق بحثي برئاسة د.حسين كمال الدين (١٩١٢-١٩٨٧م) (٤)، الذي أجرى دراسة بوساطة الحاسب الآلي لتحديد اتجاه قبلة الصلاة في مختلف أماكن الأرض، إلا أنه توصل إلى استنتاج جانبي مفاده أن مكة المكرمة تقع وسط اليابسة؛ فهي تقع في مركز دائرة تمر بأطراف جميع القارات؛ فقد اتجه إلى رسم خارطة خاصة بالكرة الأرضية حدّد عليها اتجاهات القبلة، فبعد أن قام برسم القارات حسب أبعاد كل الأماكن على القارات الستة وموقعها من مدينة مكة المكرمة، ووصل بين الخطوط المتساوية مع بعضها ليعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض عليها؛ تبين له أن مكة المكرمة هي بؤرة هذه الخطوط، ثم رسم خطوط القارات وكافة التفاصيل على هذه الشبكة واستعان في بحثه ببرامجيات الحاسبة الإلكترونية لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة، ولاحظ أنه يستطيع رسم دائرة يكون مركزها مكة المكرمة وحدودها خارج القارات الأرضية ومحيطها مع حدود القارات الخارجية وتوصل في نظريته إلى مغزى الحكمة الإلهية من اختيار مكة المكرمة مكاناً لبيت الله الحرام، بمعنى أننا لو رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة فهذه الدائرة يمكن أن تحيط باليابسة كافة (٥).

وليس هذا فحسب؛ بل يذكر الدكتور زغلول النجار أن مكة المكرمة تتوسط اليابسة مكاناً وزماناً؛ وهو أمر عجيب حقاً؛ فالعلماء يتكلمون عن خط طول الصفر الزمني؛ ولاحظ الدكتور النجار أن مكة المكرمة تقع على هذا الخط؛ إذ لاحظ أن هناك أحد عشر خطأً على يمين مكة وأحد عشر خطأً على يسارها، فتكون مكة قد توسطت اليابسة مكاناً وزماناً (٦). لقد حاول الإنكليز أن يفرضوا خط طول كرنش كونه خط الطول الأساس عندما كانت بريطانيا دولة عظمى في حينها. وفرضوا ذلك فعلاً بالقوة، ولازال الغربيون إلى اليوم وهم متشبثون بهذه المغالطة على علم منهم أنهم على خطأ محض.

وطبقاً لهذه المعلومة القرآنية المهمة فقد اقترح الدكتور حسين كمال الدين إعادة إسقاط الخرائط الجغرافية والخرائط الجيولوجية وغيرها كون أن خط طول مكة هو خط الطول الأساس لذلك لأن خط طول كرينش لديه انحراف مغناطيسي (٧) يزيد على (٢٣ درجة)، والانحراف المغناطيسي على خط طول مكة المكرمة هو (صفر)؛ لذا فإنه لو وضع خط طول مكة هو خط الطول الأساس ينتظم شكل العالم وتنتظم شكل الخرائط بوضوح تماماً.

الدراسات الخاصة بتوسط مكة المكرمة بالنسبة إلى اليابسة:

اهتدى العالم الجغرافي المسلم الجيهاني (ت ٣٠٢ هـ - ٩١٤ م) (٨) الذي عاش في القرن الثالث الهجري إلى رسم الكرة الأرضية وتحديد موقع مكة المكرمة عليها، وقام برسم المسافات لأقطار الدائرة، فإذا بها تلتقي جميعها في موقع البيت الحرام، وإذا به يشكل مركز العالم (اليابسة) (٩).

وفي القرن العاشر الهجري قام الجغرافي المسلم الصفاقسي (ت ٩٥٨ هـ - ١٥٥١ م) (١٠)، بتطوير الأبحاث الجغرافية ورسم الكرة الأرضية حسب أبحاثه مستهدفاً من ذلك تحديد موقع القبلة لخدمة المسلمين الذين بلغوا أقاصي الصين وأعلى أوروبا، والذي توصل أيضاً إلى أن البيت العتيق في مكة المكرمة هو مركز الكرة الأرضية بعد أن رسم خريطة تمثل علاقة مكة المكرمة بالعالم الإسلامي، وخريطة أخرى توضح موقع مكة المكرمة بالنسبة للكرة الأرضية (١١).

وقد ثبت توسط مكة المكرمة بالنسبة إلى اليابسة من خلال القياسات وصور الأقمار الصناعية في العصر الحديث؛ إذ عمل بعض من الباحثين والمتخصصين في هذا المجال على إثبات وسطية مكة باعتماد التقنية الحديثة المتيسرة للجميع؛ من أولئك د. المهندس حسين

كمال الدين وما ذكرناه آنفاً عن عمله في تحديد اتجاه القبلة ثم مركزية مكة المكرمة بالنسبة إلى اليايسة، ثم أ.د. يحيى وزيرى (١٢) الذي استخدم برنامجين يعتمدان على صور الأقمار الصناعية الحقيقية للكرة الأرضية، كما أن بهما إمكانية عمل مسافات دقيقة للمسافات القوسية والاتجاهات بين أي نقطتين على سطح الكرة الأرضية ؛ وهما: الأول: برنامج (جوجل إيرث Google Earth) (١٣). أما الثاني: فهو برنامج (Qibla locator) (١٤).

توسط مكة لليابسة عند علماء اللغة والتفسير:

ذهب عدد من علماء اللغة إلى أن سبب تسمية مكة بهذا الاسم بسبب وقوعها وسط الأرض ؛ (أي في مركز اليايسة)، وقيل: إن مكة مأخوذة من المكاكة، هي اللبُّ والمخُّ الذي في وَسَطِ الْعُظْمِ (١٥)، سُمِّيَتْ بها لأنها وَسَطُ الدُّنْيَا وَلِبُّهَا وَخَالِصُهَا، وقيل في سبب تسمية مكة بأَمِ الْقَرَى: وأم القرى مكة ؛ لأنها سرّة الأرض اليايسة ووسطها (١٦).

وقد ورد في الأخبار أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سرّة الأرض ووسط الدنيا، وأم القرى (١٧) أولها الكعبة، وبكة حول مكة، وحول مكة الحرم، وحول الحرم الدنيا (١٨) ؛ أي المكان الذي يعيش فيه الناس وهي مساحة اليايسة على الكرة الأرضية.

وفي ثنات حديث علماء التفسير عن فضل مكة على سائر البلدان جاءت الإشارة إلى أن مكة المكرمة تقع وسط العالم، يقول القرطبي (١٩): في تفسير الآية ١٤٢ من سورة البقرة: قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) ؛ أي كما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً، ويقول ابن عطية: وأم القرى مكة سميت بذلك لوجوه أربعة، منها: أنها منشأ الدين والشرع، ومنها ما روي أن الأرض منها دحيت، ومنها أنها وسط الأرض وكالقطعة للقرى، ومنه ما لحق عن الشرع من أنها قبلة كل قرية، فهي لهذا كله أم وسائر القرى بنات (٢٠).

ومن ذلك أيضاً ما قاله أبوحيان في تفسير قوله تعالى: (وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) : "أم القرى مكة وسميت بذلك لأنها منشأ الدين، ودحو الأرض منها، ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج ومكان أول بيت وضع للناس" (٢١)، ويقول النسفي: "سميت أم القرى لأنها سرّة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا والناس يؤمنونها" (٢٢)، وذكر الآلوسي: "لأن الأرض دحيت من تحتها فكانها خرجت من تحتها كما تخرج الأولاد من تحت الأم" (٢٣).

الآيات القرآنية الكريمة ذات الدلالة على مركزية مكة المكرمة بالنسبة إلى اليايسة :

١. قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ١٤٢].
٢. قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٦].
٣. قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) [الأنعام: ٩٢].
٤. قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا وَمَتَّحَطَفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِئَابًا بَاطِلًا يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) [المنكوب: ٦٧].
٥. قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) [الشورى: ٧].
٦. قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الأحقاف: ٢٧].

وستنعمد الآية ٩٢ من سورة الأنعام، والآية ٧ من سورة الشورى في التحليل لخصوصيتهما باحتوائهما على عبارة: (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا).

الخارطة البلاغية للآيتين الكریمتین [الأنعام: ٩٢] و [الشوری: ٧] :

تضمنت الخارطة البلاغية للآيتين الكریمتین في قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) [سورة الأنعام: ٩٢] ، وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) [سورة الشوری: ٧] العديد من الفنون البلاغية التي تكشف عن العلاقة بين القضية العلمية وتطبيقات النظم القرآني كونهما تأنيان متآزرين في الكشف عن تلك الفنون البلاغية في الآية القرآنية، ومن ثم ما يتكشف عن وجوه الإعجاز فيها ؛ وكالآتي:

الخارطة (١) : مسائل مشتركة بين الآيتين في عبارة (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) :

النص القرآني		قال تعالى: [لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا] [سورة الأنعام : من الآية ٩٢] و [سورة الشوری : من الآية ٧].	
		عدد كلمات النص القرآني = 5	
الأساليب والفنون البلاغية وما تؤديه من معانٍ أو أغراض			
الأساليب	شرحها	الفنون	شرحها
١	ذكر الخاص بعد العام	١	في قوله: [أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا] ، وهي كناية عن تحديد مركز الدائرة في مكة المكرمة ، وإمكانية رسم مجموعة من الدوائر لا نهاية لها تمر بكل القرى الموجودة على وجه الأرض حتى حدود اليابسة ، فضلاً عن دلالتها على شمول سكان القرى والمدن كافة على وجه الأرض.
٢	التفات	٢	مجاز عقلي في قراءة قرآنية: (وهذا كتاب لينذر) وعلاقته السببية لأن القرآن هو سبب النذير .
		٣	في قوله: (أم القرى) كناية عن (عن مكة المكرمة) موصوف
		٤	في قوله: (ومن حولها) كناية عن (القرى والمدن على وجه الأرض) موصوف
		٥	في قوله (أم القرى ومن حولها) أي أهل أم القرى وأهل القرى التي حولها. مجاز عقلي
		٦	استعارة تصريحية في قوله: (أم القرى) أي (تحتضن كالأُم)
		٧	في قوله: (أم القرى ومن حولها) ، أي (عن مركزية مكة المكرمة بالنسبة إلى اليابسة). كناية علمية عن صفة
مجموع الأساليب = ٢		مجموع الفنون = ٧	
حساب الكثافة البلاغية التي تم الوقوف عليها للنص القرآني			
كثافة الأساليب البلاغية = ٠.٤		كثافة الفنون البلاغية = ١.٤	
الكثافة البلاغية الكلية (الأساليب والفنون) للنص القرآني = ١.٨			
مقياس الخارطة البلاغية للنص القرآني (الوحدة البلاغية) = ٠.٥٥			

الخارطة (٢) : مسائل خاصة بأية الشورى:

النص القرآني		عدد كلمات النص القرآني = 22	
قال تعالى: [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فِرْقٍ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٍ فِي السَّعِيرِ] [سورة الشورى : ٧]			
الأساليب والفنون البلاغية وما تؤديه من معان أو أغراض			
الأساليب	شرحها	الفنون	شرحها
١	الحذف	١	في قوله: [مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيَّنَّ يَنْذِيهِ] والأصل: (مصدق الذي بين يديه من الكتب).
٢	تخصيص	٢	في قوله: [وَهُمْ عَلَىٰ صَنَالَتِهِمْ يُخَافُظُونَ].
٣	الحذف	٣	في قوله: [مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيَّنَّ يَنْذِيهِ] ، والأصل: (مصدق الذي بين يديه من الكتب).
٤	تكرار	٤	[... قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ ...].
٥	تكرار	٥	[... لَا رَيْبَ فِيهِ فِرْقٍ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٍ فِي السَّعِيرِ]
		٦	طباق إيجاب [.... فِرْقٍ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٍ فِي السَّعِيرِ]
		٧	احتباك متناظر
مجموع الأساليب = ٥		مجموع الفنون = ٧	
بإضافة الأساليب في الخارطة (١) ينتج: ٥+٢ = ٧ أساليب في الآية		بإضافة الأساليب في الخارطة (١) ينتج: ٧+٧ = ١٤ فنون في الآية	
حساب الكثافة البلاغية التي تم الوقوف عليها للنص القرآني			
كثافة الأساليب البلاغية = ٠.٣٢		كثافة الفنون البلاغية = ٠.٦٤	
الكثافة البلاغية الكلية (الأساليب والفنون) للنص القرآني = ٠.٩٥			
مقياس الخارطة البلاغية للنص القرآني (الوحدة البلاغية) = ١.٠٥			

الخارطة (٣) : مسائل خاصة بأية الأنعام:

النص		القرآني	
قال تعالى: [وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنِ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ] (سورة الأنعام : ٩٢)			
عدد كلمات النص القرآني = 22			
الأساليب والفنون البلاغية وما تؤديه من معان أو أغراض			
الأساليب	شرحها	الفنون	شرحها
١	الحذف	١	في قوله: [مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنِ يَدَيْهِ] والأصل: (مصدق الذي بين يديه من الكتب).
		الكتابة عن صفة	في قوله: [الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] ، وهي كناية عن صفة ؛ عن القريب.
٢	تخصيص	٢	في قوله: [وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ].
		المناسبة	بين ذكر (أم القرى) و (الكتاب) ثم ذكر (الصلاة والمحافظة عليها).
٣	تكرار	٣	في قوله: [... وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ...]
		استعارة مكنية	في قوله: (بين يديه) فقد حذف المشبه به وهو الرسول وجعل للكتاب يدين.
٤	تكرار	٤	[... مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنِ يَدَيْهِ ... وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ...]
		احتراس	في قوله: [... وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ]
٥	تقديم الجار والمحرور		في قوله: [وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ].
مجموع الأساليب = ٥		مجموع الفنون = ٤	
بإضافة الأساليب في الخارطة (١) ينتج: ٥+٢ = ٧ أساليب في الآية		بإضافة الأساليب في الخارطة (١) ينتج: ٤+٧ = ١١ فنون في الآية	
حساب الكثافة البلاغية التي تم الوقوف عليها للنص القرآني			
كثافة الأساليب البلاغية = ٠.٣٢		كثافة الفنون البلاغية = ٠.٥	
الكثافة البلاغية الكلية (الأساليب والفنون) للنص القرآني = ٠.٨٢			
مقياس الخارطة البلاغية للنص القرآني (الوحدة البلاغية) = ١.٢٢			

التحليل البلاغي للآيتين الكريمتين [الأنعام: ٩٢] و [الشورى: ٧] :

كما ذكرنا آنفاً أن العبارة القرآنية: (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) وردت نفسها في الآيتين القرآنتين موضوع التحليل ؛ أما بالنسبة لسورة الشورى فيذكر سيد قطب أن: "هذه السورة... تركز بصفة خاصة على حقيقة الوحي والرسالة، حتى ليصح أن يقال أن المحور الرئيسي الذي ترتبط به السورة كلها، وتأتي سائر الموضوعات فيها تبعاً لتلك الحقيقة الرئيسية فيها" (٢٤). والآية السابعة منها تصف لحظة تنزل الوحي على النبي محمد (؛ فحضور ضمائر (المتكلم) و (المخاطب) معاً في قوله تعالى: (أوحينا إليك). وذكر القرآن باسمه لمناسبته للوحي والقراءة ثم وصفه بأنه عربي، فمعجزة القرآن هنا عقلية فهو قرآن عربي يتلى، وهي بذلك معجزة للناس كافة مما يستدعي تقسيم الناس إلى صنفين: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)؛ فيكون القرآن هو (المقياس المقدس) لمصائر البشر كافة منذ نزوله حتى قيام الساعة.

في حين أننا نجد آية الأنعام قد تناولت موضوع الكتاب المنزل المبارك الذي وصف بأنه مصدق لما سبقه من الكتب السماوية وهو منذر

لمن شهد التنزيل وما بعده من الناس كافة. وقد جاء في مطلع سورة الأنعام قوله تعالى: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) [سورة الأنعام: الآية ٤]، ثم أردفت بقوله تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي فَرْطَاسٍ فَلْيَسَّرْهُ بِيَدَيْهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) [سورة الأنعام: الآية ٧]؛ فالخطاب القرآني هنا يدور حول الآيات والمعجزات النبوية وأعظمها القرآن الكريم.

التناسب والانسجام بين الآيتين موضوع البحث:

- لعل من مظاهر التناسب والانسجام بين الآيتين الكريميتين موضوع البحث ما يأتي:
- الاشتراك بين الآيتين بالعبارة القرآنية: (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) (وهي العبارة المحورية في هذا المبحث).
 - إن كل واحدة من الآيتين تتكون من اثنتين وعشرين كلمة وفي هذا توافق عددي يحقق جانباً من جوانب الانسجام.
 - الاشتراك في ملامح لغوية ومعنوية عديدة منها الآتي:
 ١. الابتداء باسمي إشارة (هذا، ذلك) يشيران إلى معجزة محمد (الخالدة وهي القرآن الكريم).
 ٢. تسمية القرآن الكريم بـ (كتاب، قرآن).
 ٣. تذكيران الآخرة بـ (الآخرة، يوم الجمع).
 ٤. آية الأنعام ذكرت المؤمنين صراحة، أما آية الشورى ذكرت جزاء المؤمنين وهو الجنة.
- وفي الجدول (٤-١) إيضاح لما ذكرناه:

الجدول (٤-١) يبين التناسب بين آيتي [الأنعام: ٩٢] و [الشورى: ٧].

سورة الأنعام: الآية ٩٢	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ	وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا	وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ	يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ	تقديم الإنزال على صفات الكتاب
سورة الشورى: الآية ٧	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا	لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا	وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ	فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ	تقديم المخاطب وهو الرسول

عبارة: (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)؛

كما ذكرنا فإن هذه العبارة القرآنية قد وردت مكررة مرتين في الآيتين الكريميتين مما يمنحها صفة المركزية في موضوع وسطية مكة بالنسبة إلى اليابسة، وفيما يأتي عرض تفصيلي لجملة من الإشارات البلاغية المهمة التي تؤدي دورها في رسم الحقيقة العلمية موضوع الدرس؛ من ذلك: "إطلاق اسم (أم القرى) على (مكة)، وأم الشيء استعارة شائعة في الأمر الذي يرجع إليه ويُلْتَف حوله، وحقيقة الأم الأنثى التي تلد الطفل فيرجع الولد إليها ويلبازها، وشاعت استعارة الأم للأصل والمرجع حتى صارت حقيقة" (٢٥). وهي استعارة تصريحية، أو هي كناية عن موصوف (٢٦) وهي مكة، "وإنما سُميت مكة أم القرى لأنها أقدم القرى وأشهرها، وما تفرقت القرى في بلاد العرب إلا بعدها، فسمّاها العرب أم القرى، وكان عرب الحجاز قبلها سكان خيام" (٢٧). "وإنما ذكرت باسمها النبي عن كونها أعظم القرى شأنًا وقبلة لأهلها قاطبة إيدانًا بأن إندار أهلها أصل مستتب لإندار أهل الأرض كافة" (٢٨).

ومكة المكرمة أول بناء على الأرض؛ فقد بنيت على أول قطعة من اليابسة أخرجها الله عز وجل من وسط محيط غامر كان قد غمر الأرض كلها في مرحلة من مراحل خلقها (٢٩).

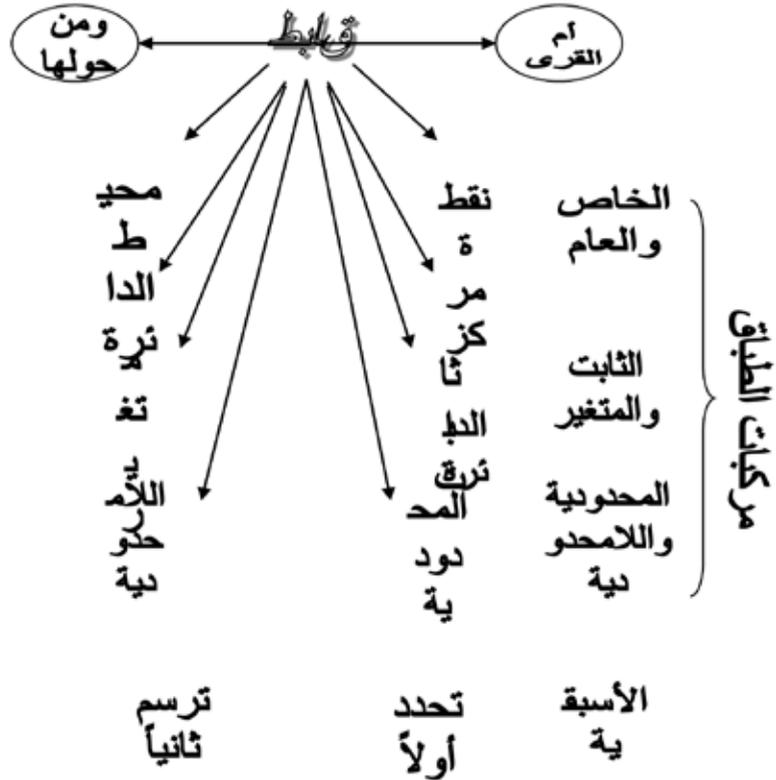
وفي العبارة القرآنية إيجاز حذف في قوله تعالى: (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)؛ أي تنذر أهل (أم القرى) وتنذر من حولها من أهل القرى. وحذف المضاف (أهل) أفاد التعميم لكل البشر أينما كانوا في قضية واحدة هي الإنذار بهذا القرآن.

فضلاً عن أن لهذه البلدة خصوصية عظيمة وهي أن الناس يقصدونها؛ ففي كل يوم يتغير سكانها دخولاً إليها وخروجاً منها؛ فيتحقق

من هذا الحذف لكلمة (أهل) إضافة عمّت جميع داخلها، لا خصوص لمن يعيشون فيها، ليتواشج هذا كله مع ذكر العام بعد الخاص؛ فـ (الخاص) هو كونها مدينة أو قرية واحدة وهي (أم القرى)، وأما (العام) فيشمل كل المدن أو القرى التي كانت موجودة لحظة تنزل الآية، ثم يتطور هذا المشهد إذا أدخلنا عامل الزمن في المعادلة؛ إذ نجد بأن (العام) سينمو نمواً طبيعياً مع مرور الزمن فتظهر مدناً وتختفي أخرى وتظهر قرى وتختفي أخرى، بيد أن (الخاص) وهو (مكة) سيبقى كما هو لا يتغير فيه شيء حتى نهاية عامل الزمان، وما ذلك إلا بقيام الساعة، فيتحقق لدينا على وفق ذلك المفهوم: الثبات (للخاص) والتغير (للعام) فيتحقق لنا معادلة طباقية ضمنية قائمة على الثبات والتغيير.

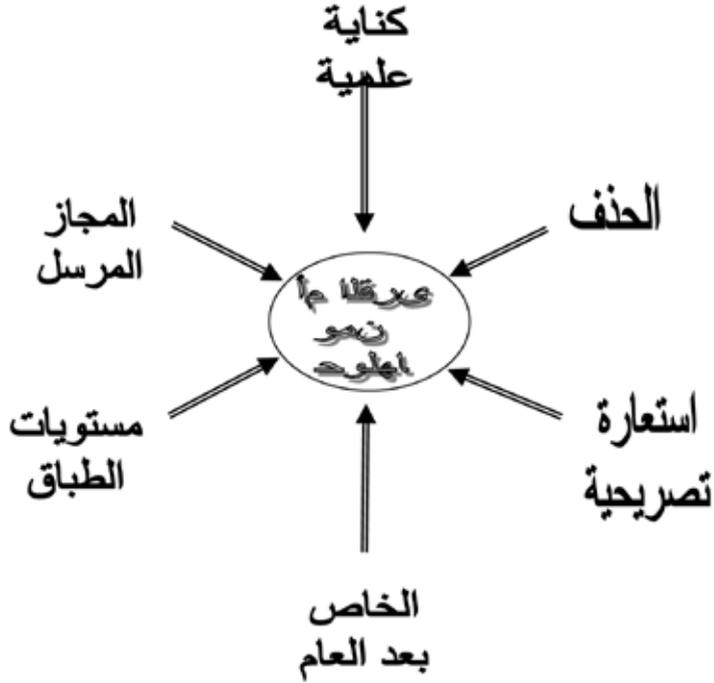
وفي قوله: (أم القرى ومن حولها) كناية علمية أيضاً؛ فأقرب ما يتصور من هذا التعبير وجود نقطة مركزية تحيط بها مجموعة من الدوائر متحدة المركز تتسع تلك الدوائر حتى تستوعب الناس جميعاً على كرة الأرض حول تلك النقطة، فيتحقق من ذلك عدد غير متناه من تلك الدوائر المحيطة المشتركة في المركز نفسه وهو (مكة). ونجد هنا في ذكر العام بعد الخاص فائدة هندسية أنه لا يمكن رسم دائرة إلا بعد تحديد مركزها فيرسم المحيط بعد تحديد المركز؛ حاله كحال ذكر العام بعد الخاص؛ فالمرکز هو الخاص والمحيط هو العام. وبذلك شملت (أم القرى ومن حولها) جميع الناس من أهل المدر والوبر في المشارق والمغارب لعموم بعثته (الصاعد بهذا القرآن في غير آية.

• ترسيمة توضح مستويات الطباق المكتنه في عبارة (أم القرى ومن حولها).



"وإنذار أم القرى بإنذار أهلها، وهذا من مجاز الحذف كقوله تعالى: (واسأل القرية)، وقد دلّ عليه قوله: (ومن حولها)" (٢٠). فهو مجاز مرسل علاقته المحلية، وفي دلالة هذا المجاز تناسب عظيم مع كلمة (حول)؛ إذ إن المجاز يحقق تعيين مركز الدائرة، وكلمة حول حقق محيطها، ولو جاء التعبير (ولتندّر ساكني أم القرى أو أهلها) لأنصرف المعنى إلى الأهل مباشرة دون مروره بالمكان الذي هو مركز اليابسة. والفعل المضارع في الآية الكريمة: (لتندّر) تتحقق منه الدلالة على استمرار النذير إلى يوم القيامة، فالقرآن نذير للناس كافة مستمر خالد خلود الدهر.

- ترسيمة توضح ما تخرج إليه الفنون البلاغية المتضمنة في قوله تعالى: (وَلْتُنذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) وهي: (الكنائية العلمية، الاستعارة التصريحية، المجاز المرسل، الحذف، الخاص بعد العام، ومستويات الطباق).



التحليل الخاص بتتمة آية الأنعام:

ففي قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...) الكناية عن صفة عن القرب. ف" ما تقدمه من كتب الأنبياء، وأخصها التوراة والإنجيل والزيور، لأنها آخر ما تداوله الناس من الكتب المنزلة على الأنبياء، وهو مصدق الكتب النازلة قبل هذه الثلاثة وهي صحف إبراهيم وموسى" (٢١).

وفي قوله: (مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) جعل للكتاب يدين وهي استعارة مكنية إذ شبه الكتب السماوية في قربها من القرآن كأنها بين يدي القرآن، فشبه القرآن بإنسان له يدين. وفي الآية تشخيص؛ " وأسلوب التشخيص في القرآن ذو غاية واضحة وهي تحقق الهدف الديني بالدرجة الأساس من خلال عقد الصلة الروحية بين النفس الإنسانية والموجودات المنظورة وغير المنظورة... وفي هذا تنمية للاحساس

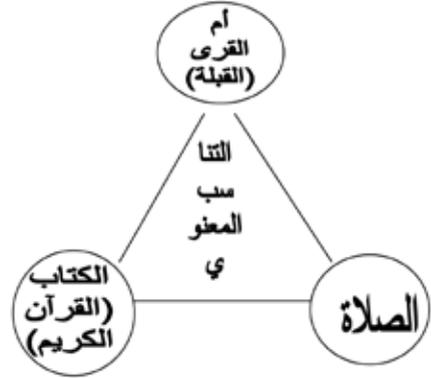
النفسي والروحي عند الإنسان، وإيقاظ الفطرة عند تأمل هذه الصور التي تقربه إلى الله سبحانه^(٢٢). وتتضمن العبارة القرآنية أيضاً كناية عن قرب المسافة، وصلة العلاقة بين الكتاب المنزل على محمد (والكتب السماوية الأخرى، فقد بين لنا التشخيص أنه يحتضن الكتب السماوية الأخرى، فهي بين يديه.

والتخصيص: في قوله تعالى: (وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) فقد خصص ركن الصلاة بالذكر دون غيرها من العبادات، لما فيها من المناسبة بذكر أم القرى وهي قبلة المسلمين التي يتجهون إليها في صلاتهم ثم ما يتلونه في صلاتهم من الكتاب المنزل على محمد (ص). فحصلت المناسبة بين ذكر الصلاة وذكر (أم القرى) وذكر الكتاب النذير. وفي قراءة ولينذر بدلاً عن ولتنذر فيها مجاز لأن الكتاب سيكون هو المنذر.

والمناسبة واضحة بين ذكر الصلاة والمحافظة عليها مع ذكر (أم القرى) وهي قبلة المسلمين في صلاتهم، مع (القرآن الكريم) وهو ما يتلى في الصلاة وهو النذير للناس جميعاً.

والفعل الماضي في قوله: (أنزلناه مبارك)، وما يعكسه من دلالة القدم لهذا الكتاب المبين.

• ترسيمة توضح حالات التناسب المعنوي بين (القبلة والصلاة والقرآن).



وتقديم أنزلناه على مبارك في قوله: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ) (يفيد الاهتمام بالإنزال وتقديمه على وصف الكتاب، وما لذلك من علاقة الإنزال بـ (أم القرى)؛ إذ إن أول نزول القرآن كان في مكة المكرمة.

التحليل الخاص بتتمة آية الشورى:

في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) [الشورى: ٧]، ورد (وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) فقد تكرر ذكر فعل (تنذر) لزيادة تهويل أمر (يوم الجمع) لأن تخصيصه بالذكر بعد عموم الإنذار يقتضي تهويله؛ ومعناها: تنذر الناس يوم الجمع (٢٣).

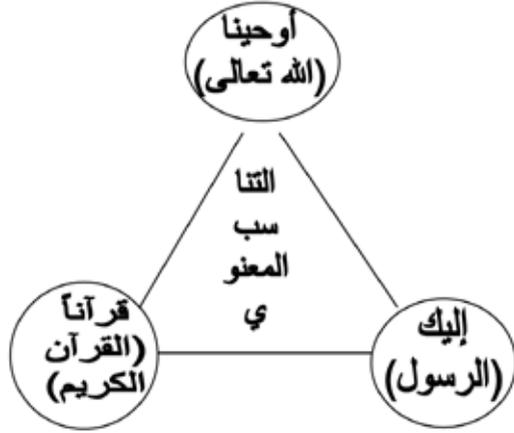
وفي قوله تعالى: (وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) حذف للضمير؛ أي (وتنذرهم يوم الجمع). ويوم الجمع سيجتمع فيه الخاص والعام؛ إذ الخاص من أهل أم القرى، والعام من الناس كافة، يجمعون كلهم في ساحة واحدة وفي وقت واحد. ويفيد هذا الحذف زيادة رهبة هذا اليوم، وتقريب صورة هول هذا اليوم العظيم الذي يجمع فيه كل من شمل بالنذير الأول وهو نذير أم القرى ومن حولها، الذي سيشمل حتماً كافة ما خلق الله من البشر. فالتصاق (النذير) بـ (يوم الجمع) يحقق هذا التهويل والتخويف.

وفي قوله تعالى: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (طباق يفيد الشمول ؛ ثم يتفرق الجمع إلى فرقتين: فريق في الجنة وفريق في السعير).

التناسب والشمول في قوله تعالى: (أوحينا إليك قرآناً):

تضمنت هذه العبارة القرآنية تناسباً معنوياً لما تضمنته من ذكر (الله) تعالى وهو المتكلم في قوله (أوحينا)، وذكر (الرسول) وهو المخاطب في قوله: (إليك)، وذكر (الرسالة) هو في قوله: (قرآناً). ومن ذلك يتحقق لدينا الشمول فقد تضمنت هذه الكلمات الثلاث ذكر للمرسل، والمرسل إليه، والرسالة، فالمرسل هو (الله) سبحانه، والمرسل إليه هو (رسول الله) .، وذكر للرسالة وهو (القرآن الكريم).

- ترسيمةً توضحُ حالة التناسب والشمول في العبارة القرآنية: (أوحينا إليك قرآناً).



ثم التقديم والتأخير في العبارة القرآنية نفسها: (أوحينا إليك قرآناً) فقد قدم (الجار والمجرور) على المفعول للدلالة على الخصوصية التي يتضمنها الخطاب، ويتحقق بذلك الانسجام والمناسبة في مفردات العبارة القرآنية من خلال ذكر (الله، الرسول، القرآن)، أو بين ذكر (المرسل، والمتلقي، والرسالة). وفي تقديم الجار والمجرور في: (إليك) ؛ اهتمام بالمتلقي وارتفاع بدرجة التكليف بالرسالة، وأنها له خاصة وليس لأحد غيره.

الهوامش:

- (١) الذي زار مكة المكرمة عام ١٨٨٥م ومكث فيها، وألّف فيها كتابه بجزأيه: (صفحات من تاريخ مكة المكرمة).
- (٢) ينظر: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، المستشرق ك. سنوك هورجرونيه: ٢/٣١٦.
- (٣) ينظر: رؤى المتقنين والإصلاحيين في السعودية حول سبل الإصلاح السياسي، فكري عبد المطلب، مجلة الحوار المتمدن، العدد: ٣٥٦٨ - ٢٠١١ / ١٢ / ٦، (مجلة الكترونية). (بحث).
- (٤) وهو من أبرز العلماء المصريين كان أستاذاً في كلية الهندسة في جامعة القاهرة، وفي جامعة أسيوط، ومن أعظم علماء المساحة العرب.
- (٥) الهندسة في العبادات، د. حسين كمال الدين / ٧١. (بحث)، والمساحة وعلوم الأرض في القرآن والسنة، د. مهندس خالد فائق صديق العبيدي / ١٥٣.
- (٦) يوتيوب: مركزية مكة بالنسبة إلى اليابسة / زغلول النجار:
www.youtube.com/watch?v=OEoYvMo7PNQ.
- (٧) كل موقع له شمال حقيقي وشمال مغناطيسي، الشمال الحقيقي هو الاتجاه العمودي على اتجاه شروق الشمس، والشمال المغناطيسي هو الذي تحدده الإبرة المغنطة، سواء في بوصلة أو في جهاز من أجهزة المساحة القياسية، ولذلك يضعون على كل خارطة الشمال الحقيقي والشمال المغناطيسي، والزوايا بينهما تسمى زاوية الإنحراف المغناطيسي.
- (٨) الجيهاني: أبو عبد الله بن أحمد بن نصر، عالم جغرافي مسلم أديب، له من الكتب: العهود، والخلفاء والأمراء، والمسالك والممالك (ينظر: الفهرست لابن النديم: ٧٠/١)، وهو وزير للسامانيين، وهو واضع أول خريطة للأرض لم تتأثر بأراء اليونانيين، وإنما قامت على أساس البلدان والمسالك.
- (٩) ينظر: مكة المكرمة.. مركز الكرة الأرضية، هاني فيروزي / ٢٢. (بحث)، موقع الانترنت: makkah.org.sa. إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية، د. مهندس يحيى وزيري: ٨٢/٤. (بحث).
- (١٠) ينظر: أطلس تاريخ الأنبياء والرسول، سامي بن عبد الله بن أحمد الغلوث، موقع الإنترنت: forums.mazika2day.com.
- (١١) ينظر: مكة المكرمة.. مركز الكرة الأرضية / ٢٢. (بحث).
- (١٢) يحيى وزيري: هو معماري مصري، صاحب أكبر موسوعة في الزخارف الإسلامية، مدير دار الفن الإسلامي (المصدر: موسوعة ويكيبيديا)، ومن مؤلفاته: إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة.. دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية، وقد التقت بالدكتور وزيري في مؤتمر الإعجاز العلمي العالمي العاشر المقام في تركيا وشرح لنا تفاصيل الإنجاز البحثي الذي قدمه في هذا الخصوص.
- (١٣) ينظر: www.Googleearth.com، وهو البرنامج المعروف بإمكانياته العالية لتحديد المسافات بين أي نقطتين على سطح الكرة الأرضية بدقة عالية جداً من خلال الصور الحقيقية للكرة الأرضية الملتقطة عن طريق الأقمار الصناعية
- (١٤) ينظر: www.Qjbalocator.com، وهو برنامج مصمم خصيصاً لتحديد اتجاه القبلة بدقة عالية جداً من أي نقطة على سطح الكرة الأرضية، كما يحدد المسافة بين أي نقطة على الكرة الأرضية ومكة المكرمة (القبلة) بدقة عالية جداً باستخدام صور الأقمار الصناعية
- (١٥) لسان العرب: ٢٤٠ / ٨. (مادة مك).
- (١٦) تاريخ مكة المكرمة قديماً وحديثاً، د. محمد إلياس عبد الغني / ٦.
- (١٧) ينظر: قصة المناسك، أشرف الفيل: ashrafelfeel.org.
- (١٨) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤/٦٣.
- (١٩) الجامع لأحكام القرآن: ٢/١٥٣.
- (٢٠) ينظر: المحرر الوجيز: ٢/٣٢٢.
- (٢١) البحر المحيط في التفسير: ٤/٥٨٣.
- (٢٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/٥٢١.

- (٢٣) روح المعاني: ٧ / ٢٨٥.
- (٢٤) في ظلال القرآن: ٥ / ٣١٣٦.
- (٢٥) التحرير والتنوير: ٧ / ٣٧٢.
- (٢٦) ينظر: الكناية في القرآن الكريم، د. أحمد فتحي رمضان: ٣٦٣. (أطروحة دكتوراه).
- (٢٧) التحرير والتنوير: ٧ / ٣٧٢.
- (٢٨) تفسير أبي السعود: ٢ / ٤١٦.
- (٢٩) يوتيوب: مكة أول بقعة على اليابسة / زغلول النجار:
www.youtube.com/watch?v=GSjP٥٧SoQs
- (٣٠) التحرير والتنوير: ٧ / ٣٧٢.
- (٣١) التحرير والتنوير: ٧ / ٣٧٠.
- (٣٢) الاستعارة في القرآن الكريم / ١٤٦. (رسالة ماجستير).
- (٣٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٥ / ٣٧.